الإطار العام للدراسة

مقدمة

يعد الإبداع مظهراً مهماً من مظاهر التجديد التربوي التي ظهرت على الساحة التربوية منذ زمن ليس بقريب، وهو يستهدف صناعة البشر على نحو يجعل من أبناء المجتمع يسهمون مساهمة إيجابية في صناعة حضارة تفيد البشرية جمعاء. ومن هنا ولدت أجيال من المفكرين والمبدعين في المجالات المختلفة، الأمر الذي كان من شأنه تطور حياة المجتمعات بأشكال وأنماط متعددة ومتباينة، تعتمد جميعها وفي أغلب الأحوال - على نواتج الفكر البشري بمختلف مسالكه ودروبه واتجاهاته (اللقاني، 1995، 180).

فالعنصر البشري هو الثروة الحقيقية لأي مجتمع أو ثقافة، وبالتالي يعد الإنسان أغلى ما يمكن أن تملكه الدولة من ثروات، حيث إن قدرة أي مجتمع على استثمار ما لديه من ثروات طبيعية، تتحدد وبشكل فاعل في ضوء ما يمكن أن يبذله أبناؤه من جهد، وما يوجد لدى هؤلاء الأبناء من طاقات وقدرات وإمكانات عقلية مختلفة، يمكن استثمارها في مختلف جهود سياساته التنموية.

ومن هنا؛ فإن من حق الوطن والمواطن أن نوفر له نظاماً تعليمياً يتيح له فرصاً ومجالات لاستثمار قدراته المختلفة وتوظيف

هذه القدرات لخيره وخير مجتمعه، فالهدف الأسمى بالنسبة لأي نظام تعليمي إذا أراد أن يكون لأفراده كينونة وهوية في هذا العالم المتغير - هو العمل على تنمية القدرات الابتكارية لطلابه " فالمبتكرون هم ركائز أساسية وضرورية لمجتمع متقدم، فهم الذين ينتجون المعرفة الإنسانية ويطورونها ويطوعونها للتطبيق، وهم الأمل في حل المشكلات التي يمكن أن تعوق التقدم الحضاري على هذا النحو أو ذاك، وهم القوة الدافعة نحو تقدم الوطن ورفاهيته وإسعاده " (هريدي، أحمد: في مراد وهبة، 1993، 34).

ومن هنا؛ كان من الضروري أن يكون الابتكار هدفاً محورياً للعملية التعليمية، وهذا من شأنه أن يغير من مهارات التفكير التقليدية، وأن يتم تطوير أساليب طرق التدريس، وأساليب إعداد المعلم، وأساليب وطرق تأليف الكتب

والتقويم، وتكوين اتجاهات إيجابية عند القائمين على شؤون التربية والتعليم نحو القوانين والعوامل الأساسية التي يمكن أن تساعد وتسهل وتنمي الإبداع والابتكار، وهي أمور حيوية تعتبر في ذات الوقت بمثابة إرهاصات أولية لاستغلال الطاقات البشرية الكامنة لدى طلاب مختلف مراحل التعليم.

ويلاحظ أن الطالب لكي ينمو نمواً سليماً، لابد من توافر بيئة تربوية غنية مليئة بالمثيرات والمنبهات التي تستطيع أن تتحدى

قدراته، وطاقاته والتي تعمل على تنميتها وتحفيزها. كما أن الطالب لا ينمو إلاّ في ظل خبرات متعددة توجه نشاطه وتنمي مهاراته، ولكي ننجح في ذلك يتعين على القائمين على أمور سياسات التربية والتعليم في مجتمعنا ضرورة تهيئة البيئة التربوية المناسبة.

ولا شك أن المعلم يعد من الركائز الأساسية للعملية التعليمية، والقائد الذي يسير بها إلى تحقيق أهدافها فهو " الذي يصنع بيئة التعليم الفعّال، ويضفي على العملية التعليمية روحاً نابضة، ويصبغها بصبغة الحيوية والنشاط " (مرسي، 1997، 15).

فمن المعروف أن مسئولية المعلم في نظام تعليمي يؤمن بأهمية الابتكار في التقدم الحضاري، يتمثل في التشجيع على الاكتشاف والبحث وخلق مواقف " تتحدى وتحفز قدرات الطلاب لكي يصبحوا قادرين على التناول النقدي للمشكلات، واتخاذ القرارات، بيئة غنية بالبدائل، وتساعد الطالب على كيفية التفكير بحرية ومرونة، وتزوده بالدوافع لكي يصبح باحثاً صغيراً من خلال عمليات القراءة وخبرات الحياة " (الكناني، 1990، 113-116).

ومن هنا؛ كانت بيئة الفصل المدرسي - وما تزال - محوراً أساسياً من أهم محاور اهتمام الباحثين في مجالات التربية فالفصل الدراسي ومكوناته يمثل حجر الزاوية في مختلف صور ومراحل إجراءات العملية التعليمية، حيث تتضمن بيئة الفصل

الدراسي مجموعة من المتغيرات يأتي في مقدمتها كل من الطلاب والمعلمين. كما أن القواعد التربوية والنفسية التي تعمل على تنظيم تلك البيئة، تؤثر بعضها في بعض، وتؤثر بالتالي على مخرجات العملية التعليمية.

وهكذا؛ ينشأ المناخ الابتكاري داخل الصف الدراسي ويتحدد في ضوء علاقات التلميذ بزملائه، وعلاقات التلاميذ بعضهم ببعض، وعلاقة المعلم بتلاميذه، وهذه العلاقات المعقدة تعتمد بدورها على التوقعات المتبادلة بين المعلم والتلاميذ وبين التلاميذ بعضهم وبعض (الكناني، 1990، 214).

فالمعلم هو العنصر المهم والفاعل في إيجاد وتنظيم وتفعيل بيئة ابتكارية داخل الفصل، وهو أمر يصدق حتى في نطاق نظام تعليمي تقليدي، فمنح المعلم الأمن والطمأنينة لتلاميذه يساعدهم في إشباع الحاجة للفهم والمعرفة، وعندما يهيئ المعلم

" مناخاً يسمح للتلاميذ أن يثيروا كل ما لديهم من أسئلة تشغل بالهم بغير مهددات أو خشية أن يستهزأ بهم أو يسخر منهم ?فإن مثل هذه الإجراءات تستثير وتشجع دافع المعرفة والفهم للطلاب " (الكناني، 1990، 116).

ومن هنا؛ نجد أن سلوك المعلم داخل الفصل ونوعية تفاعلة الإيجابي مع طلابه، وتشجيع هؤلاء الطلاب على التفكير المتشعب

للاستجابات غير العادية لها دور في إيجاد بيئة ملائمة لتنمية الدافع الابتكاري (بالغنيم، 1996، 264).

وفي هذا السياق يمكن الإفادة من معطيات علم النفس بفروعه المختلفة في مجال المناهج وطرائق التدريس، وذلك انطلاقاً من أهمية الدراسات البينية (بين التخصصات Interdisplinery)، وفي ظل هذا التوجه الحديث يمكن أن تعد الدراسة الحالية من باكورة الدراسات التي يمكن الاستفادة من نتائجها في تنمية القدرات الابتكارية، وأفضل الطرق لتحقيق ذلك هو تهيئة البيئة المدرسية والتفاعلات الصفية التي تشجع على الابتكار؛ بيئة تسمح للطلاب بإنتاج استجابات تتسم بالتنوع والبعد عن النمطية.

وعلى الرغم من الدراسات المتعددة التي اهتمت بمجال الابتكارية إلا أنه من الملاحظ على هذه الدراسات أنها لم تهتم اهتماماً كافياً بالعوامل التي يمكن أن تيسر وتسهل التفكير الابتكاري داخل الفصل المدرسي، مما ترتب عليه وجود حاجة ملحة في الوقت الحاضر لبناء وإعداد أدوات تصلح للاستخدام في دراسة المناخ الابتكاري داخل الفصل المدرسي وتسهم في تسهيل مثل هذه الدراسة.

مشكلة البحث

تتحدد مشكلة البحث الحالي في تحديد العوامل المتضمنة في البيئة الابتكارية للفصل المدرسي، وهي العوامل التي بمقدورها

تيسير وتسهيل ممارسات التفكير الابتكاري في سياق الفصل المدرسي – وذلك كما يمارسها المعلمون والمعلمات بمختلف مراحل التعليم العام بالمدينة المنورة.

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى إعداد أداة تستخدم في قياس العوامل التي قد تساعد في تيسير وتسهيل نمو وحفز مختلف صور وأشكال التفكير الابتكاري لدى طلابنا وطالباتنا بما تتضمنه هذه العوامل من سلوكيات ونشاطات يجرى ممارستها من قبل معلمي ومعلمات التعليم العام في المدينة المنورة.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث الحالي في أهمية الجانب الذي يسعى لدراسته، حيث أنه يسعى لبناء أداة تصلح للاستخدام في قياس البيئة الابتكارية في سياق أو محيط الفصل المدرسي، وبالتالي فهو يسهم في إيجاد أداة قياسية بالنسبة للبيئة الابتكارية، انطلاقاً من مسلمة مهمة مؤداها أن موضوع التفكير الابتكاري يأتي في مقدمة متطلبات نهضة الأمم وتقدمها، حيث يتحدد مدى هذه النهضة وذلك التقدم على أساس مدى قدرة هذه الأمة أو تلك على استثمار كل ما لدى أبنائها من طاقات وإمكانات وقدرات واستعدادات والاهتمام بتوفير فرص ومجالات متعددة ومتنوعة تسهم في تحسين

وتوفير فرص وامكانات النمو الإنساني إلى حده الأقصى. وهكذا؛ يمكن إيجاز أهمية البحث الحالي في عدة أمور تتمثل فيما يلي:

1- أن دراسة بيئة الفصل المدرسي من خلال العوامل الموجودة في المقياس المتوقع يمكن أن يكون مرآة جيدة لمعرفة مستوى واقع العوامل التي قد تساعد على التفكير الابتكاري عند أفراد العينة.

2- يمكن أن يفيد من بيدهم السلطة في حقل التعليم في معرفة واقع بيئة الفصل المدرسي من خلال دراسة سلوك المعلم ومدى قدرته على القيام بأدواره ومهامه ومسؤولياته المهنية داخل حجرة الدراسة. بما فيها من إيجابيات وسلبيات، مما يمكنه أن يسهم في تعزيز هذه الإيجابيات وتقليل ما يمكن من تأثير السلبيات الموجودة.

3- يمكن أن يساعد في معرفة بعض خصائص المعلم المهنية والشخصية القادرة على تنمية وتسهيل القدرات الابتكارية لدى الطلاب في داخل بيئة الفصل المدرسي.

4- كما يمكن الاستفادة من المقياس المتوقع في إعداد وتخطيط برامج تدريبية وإرشادية للمعلمين السعوديين من الجنسين القائمين على العملية التعليمية وبمختلف المراحل التعليمية.

5- ويزيد من الاتجاهات الإيجابية لدى القائمين على مختلف جوانب العملية التعليمية نحو إمكانية تنمية القدرات الابتكارية

لدى طلاب وطالبات التعليم العام بالمجتمع السعودي إذا ما تم مراعاة بعض المتغيرات التي قد تساعد في اكتشاف وتنمية ظهور مثل هذه القدرات لديهم.

6- ويقدم تصوراً عاماً للمسئولين عن كليات التربية في المجتمع السعودي، يمكنهم من معرفة بعض الخصائص المهنية والشخصية الواجب توافرها في معلم الغد القادر على التفكير النقدي والابتكاري ومواصلة تعليم نفسه ذاتياً مع ما يتطلبه كل ذلك من تجديد كليات التربية لخططها الدراسية وانتقاء طلابها.

7- يمكن استخدام الأداة موضع الاهتمام في البحث الحالي في إجراء مزيد من البحوث والدراسات لاستجلاء وتحديد مختلف جوانب ومكونات البيئة الدراسية المثلى لتنمية وحفز كل ما يوجد لدى أبناء المجتمع السعودي من طاقات وإمكانات، بحيث يصبح هؤلاء الأبناء في وضع يمكنهم من الإسهام والمشاركة بفاعلية وإيجابية في مختلف الجهود والسياسات التنموية التي تهدف مجتمعة إلى تحسين واقع الحياة بالنسبة لمواطني المجتمع السعودي وصولاً بهؤلاء المواطنين إلى الوضع الذي يأملونه ويتطلعون إلى أن يكونوا عليه بين مجتمعات القرن الحادي والعشرين.

حدود البحث

تتحدد مجالات وإمكانية استخدام الأداة موضع الاهتمام في البحث الحالي بنوعين من الحدود **أولاهما حدود مكانية** حيث يتمثل المجتمع الأصلي للأداة المشار إليها في معلمي ومعلمات المدارس الحكومية بمرحلة التعليم العام بالمدينة المنورة.

أما النوع الثاني؛ فهو حدود زمانية حيث تتحدد مجالات الأداة موضع الاهتمام بطبيعة وخصائص أفراد العينة المستخدمة من المعلمين والمعلمات ممن مارسن مهنة التدريس في الفصل الثاني من العام الدراسي 1422هـ.

التحديد الإجرائي لمفهوم البيئة الابتكارية

يقصد بمفهوم البيئة الابتكارية في الأداة موضع الاهتمام تلك الظروف والأحوال والممارسات التي يقوم بها المعلم داخل الفصل المدرسي أو تتعلق به من حيث أنها تعمل على قدح كل ما لدى تلاميذ وطلاب مدارس التعليم العام من استعدادات وقدرات وإمكانات ابتكارية ?حيث تتلخص هذه الظروف والأحوال والممارسات في أساليب التفاعل التدريسي الموجب، والالتزامات المهنية تجاه التشجيع على الابتكار وتنميته واستراتيجيات التدريس المتمركزة حول الطالب، والتقبل الإيجابي من جانب المعلم للمواهب والأفكار غير العادية أو المألوفة، ودافعية التجديد وإتقانه، وتقبل

التباين والغموض وتحمل الضغوط في إطار من الهدوء وسعة الصدر، ومبادأة التجديد الاستقلالي والتواصل الاندماجي، والألمعية والمرح البناء، والتوكيدية الابتكارية ?وذلك طبقاً للتعاريف الإجرائية الخاصة بكل من هذا الجوانب والأبعاد في ضوء ما أسفرت عنه نتائج عملية التحليل العاملي لإجمالي البنود والعبارات المتضمنة في الصورة المبدئية للأداة موضع الاهتمام.

الإطار النظري

تواجه سياسيات واستراتيجيات وإجراءات التطوير التربوي تحدياً مهماً يتلخص في ضرورة تحديد طبيعة وماهية مواصفات المناخ التعليمي الذي يستطيع أن يعمل بإيجابية وفاعلية في تنمية وتعزيز وبلورة وترشيد وقدح واستثمار كل ما يوجد لدى تلاميذ وطلاب المدارس من قوى وطاقات وامكانات ابتكارية.

ويتوقف على هذا التحديد كل ما يمكن وما ينبغي أن يقوم به القائمون على العملية التعليمية بمختلف مجالاتها ومستوياتها من جهود وممارسات لا يمكن أن تتم أو تجرى ممارساته ونشاطاته إلا في ظل ظروف تعليمية معينة تبدأ من معلم مبتكر، وممارسات تربوية تعمل على إطلاق قدرات الطلاب الابتكارية وأساليب تدريسية تركز على اختلاف وتباين وجهات النظر في إطار من التمركز حول حرية الطالب، وأسئلة تحفز وتستحث وتثير مقتضيات ومتطلبات تنمية التفكير المتشعب، ونظاماً تعليمياً يؤمن